الجبين بل أبقى على ما كنت عليه معكم وهو خلاف الظاهر جدا واﷲ المستعان أي المطلوب منه العون وهو إنشاء منه عليه السلام للإستعانة المستمرة على ما تصفون .

18 .

- متعلق بالمستعان والوصف ذكر الشيء بنعمته وهو قد يكون صدقا وقد يكون كذبا والمراد به هنا الثاني كما في قوله سبحانه : سبحان ربك رب العزة عما يصفون بل قيل : إن الصيغة قد غلبت في ذلك ومعنى استعانته عليه السلام باﷲ تعالى على كذبهم طلبه منه سبحانه إظهار كونه كذبا بسلامة يوسف عليه السلام والإجتماع معه فيكون ذكر الإستعانة هنا نظير عسى اﷲ أن يأتيني بهم جميعا بعد قوله فيما بعد : فصبر جميل وفي بعض الآثار أن عائشة رضي اﷲ تعالى عنها قالت يوم الإفك : واﷲ لئن حلفت لا تصدقوني ولئن أعتذرت لا تعذروني فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وولده واﷲ المستعان على ما تصفون فأنزل اﷲ تعالى في عذرها ما أنزل وقيل : المراد إنه تعالى المستعان على أحتمال ما تصفونه من هلاك يوسف كأنه عل 4 يه السلام بعد أن قال : صبر جميل طلب الإعانة منه تعالى على الصبر وذلك لأن الدواعي النفسانية تدعو إلى إظهار الجزع وهي قوية والدواعي الروحانية الصبر الجميل فكأنه وقعت المحاربة بين الصفتين فما تحصل المعونة منه جل وعلا لا تحصل الغلبة فقوله : فصبر جميل يجري مجرى إياك نعبد واﷲ المستعان على ما تصفون يجري مجرى وإياك نستعين ولعل الأول أسلم من القال والقيل للإمام الرازي عليه الرحمة في هذا المقام بحث وهو : أن الصبر على قضاء اﷲ تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين ومكر الماكرين فغير واجب بل الواجب إزالته لا سيما في الضرر العائد إلى الغير فكان اللائق بيعقوب عليه السلام التفتيش والسعي في تخليص يوسف عليه السلام من البلية والشدة إن كان حيا وفي إقامة القصاص إن صح أنهم قتلوه بل قد يقال : إن الواجب المتعين عليه السعي في طلبه وتخليصه لأن الظاهر أنه كان عالما بأنه حي سليم لقوله : وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث فإن الظاهر أنه إنما قاله عن وحي وأيضا إنه عليه السلام كان عظيم القدر جليل الشأن معظما في النفوس مشهورا في الآفاق فلو بالغ في الطلب والتفحص لظهر ذلك واشتهر ولزال وجه التلبيس فما السبب في تركه عليه السلام الفحص مع نهاية رغبته في حضور يوسف وغاية محبته له وهل الصبر في هذا المقام إلا مذموم عقلا وشرعا ثم قال : والجواب أن نقول : لا جواب عن ذلك إلا أن يقال : إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديدا للمحنة وتغليظا للأمر وأيضا لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوياء وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وأنه لو بالغ في البحث ربما أقدموا على

إيذائه وقتله وأيضا لعله عليه السلام علم أن ا تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة وأن أمره سيعظم بالآخرة ثم لم يرد هتك ستر أولاده وما رضي بإلقائهم في ألسنة الناس وذلك لأن أحد الولدين إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وإن انتقم يحترق على الولد الذي ينتقم منه ونظير ذلك ما أشار إليه الشاعر بقوله : قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لموهن عظمي فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلبة رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر بالكلية إلى ا تعالى لا سيما إن قلنا : إنه عليه السلام كان عالما بأن ما وقع لا يمكن تلافيه حتى يبلغ الكتاب أجله